الفصل الثامن

عهـد الملـوك

ويقسم هذا العهد إلى قسمين:

الأول : عهد الملوك الأول (1025 - 931) ق.م.

الثاني: عهد الملوك الثاني أو عهد الانقسام (931 - 586)ق.م.

obeikandl.com

أولاً ـ عهد الملوك الأول : حكم في هذه الفترة ثلاثة ملوك هم (شاؤل وداوود وسليمان) وتمتد هذه الفترة بين (1025- 931)ق.م. حسب تقدير المؤرخين استناداً الى مدونات التوراة :

أ ـ شاؤل : دام حكمه خمس عشرة سنة ((1025- 1010ق.م)) وكان على شاؤل الرضوخ التام لأوامر الرب (يهوه) المنقولة على أيدي الكهنة، ولما أهمل شاؤل الرضوخ، خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين (سكان قرية فلشة) حيث انهزم في المعركة وقُتل هو وأولاده الثلاثة.

في عهد شاؤل لم تكن الحروب والمنازعات مع الفلسطينيين فحسب بل كان شاؤل يواجه أعداءه من الإسرائيليين أنفسهم وتقول التوراة في سفر صموئيل الأول (23: 7و8) ((فلما سمع شاؤل أن داوود قد جاء إلى (قعيله).... دعا شاؤل جميع الشعب للحرب، للنزول إلى قعيلة لمحاصرة داوود ورجاله)).

دامت الملاحقة ضد داوود الذي كان يهرب من أمام شاؤل فانتهى الأمر بأن داوود لجأ إلى أحد الكهوف مع رجاله حتى لا يهتدي شاؤل عليه.

ولكن الحروب والمنازعات بين الإسرائيليين والفلسطينيين جعلت شاؤل يلتفت إلى محاربة الفلسطينيين وتذكر التوراة تفاصيل تلك الحروب فتقول في سفر صموئيل الأول (31: 1- 6) ما نصه : ((وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل (جلبوع). فشدّ

الفلسطينيون وراء شاؤل وبنيه وضرب الفلسطينيون أبناء شاؤل، واشتدت الحرب على شاؤل فأصابه الرماة.. فانجرح .. فأخذ شاؤل السيف وسقط عليه.. فمات شاؤل وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم)).

ب - داوود: بعد موت شاؤل تولى المملكة داوود ، فحكم أربعين سنة (1010- 971)ق.م بناءً لما ورد في التوراة. صعد داوود إلى حبرون التي هي قرية (أربع) وأخذ رجاله معه. ثم أتى رجال يهوذا ومسحوا داوود ملكاً عليهم.

ومع ذلك لم يستقر الأمر لداوود ، لأن الحرب وقعت بينه وبين بيت شاؤل. ولكنه تغلب عليهم وكسب تأييد الموسويين. وتقول التوراة في سفر صموئيل الثاني (5 : 1- 3) ما نصه : ((جاء جميع أسباط إسرائيل إلى داوود إلى حبرون وتكلموا قائلين هو ذا عظمك ولحمك نحن .. وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل. وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داوود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داوود ملكاً على إسرائيل)).

حاول داوود احتلال مدينة اليبوسين (أورشليم) فلم يتمكن من ذلك، لذلك اتخذ من حصن صهيون مدينة له ((وأقام داوود في الحصن وسماه مدينة داوود التي هي الكهوف الصخرية في صهيون)).

وقد أسهبت التوراة في وصف عظمة مملكة داوود التي أورثها لإبنه سليمان، مع أن داوود لم يكن له بيت بل كانت مساكنهم هو ورجاله الخيام. حتى أن داوود استعان بالملك حيرام ملك صور (ليست صور الواقعة على ساحل المتوسط) لبناء بيت له. وتقول التوراة في سفر صموئيل الثاني (5 : 11) ما يلي: ((وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داوود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداوود بيتاً)).

وهذا يدل على أن الموسويين وملكهم داوود كانوا وما يزالون على البداوة ولا يعرفون بيوتاً سوى الخيام والمغاور والكهوف. واستمر الأمر هكذا إلى زمن سليمان وابنه رَحُبْعام.

وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (12 : 16- 18) ما يلي:

((فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم، ردَّ الشعب جواباً على الملك قائلين أي قسم لنا في داوود، ولا نصيب لنا في ابن (يسَّى) .. إلى خيامك يا إسرائيل. الآن انظر إلى بيتك يا داوود. وذهب إسرائيل إلى خيامهم)).

كان داوود يعاني من الانقسام بين الموسويين أنفسهم؛ داوود في مدينة حصن صهيون شرق غامد على مقربة من طريق التجارة والقوافل. وابنه (أبشالوم) في قرية أربع (حبرون).

ولذلك لم يتمكن داوود من مواجهة الفلسطينيين سكان (فلشة) في زهران لأن الصراع الداخلي أخذ يتبلور إلى مجموعتين الأولى مع داوود وميولها إلى الدولة

المركزية في بابل عموماً. والثانية مع أبشالوم في الداخل والموالية لمصر وادي النيل. وأخذ الصراع يتفاقم بين الفريقين وكل منهما يحاول الفوز لنفسه بالعمالة إما للدولة السورية المركزية وإما للدولة المصرية في وادي النيل، من أجل السيطرة على طريق القوافل التجارية.

وقد بقيت سلطة كل من هذين الفريقين، لا تتعدى بعض القرى الصغيرة أو المخيمات. كما أن السكان الكنعانيين في المنطقة لم يشعروا بوجود أي منها، إلا من خلال عمليات السطو والنهب التي تتم بين فترة وأخرى.

وفي نهاية الصراع تمكن داوود من التغلب على ابنه أبشالوم، الذي قتله رجال داوود، وبذلك تصبح قرية السامرة وما حولها تابعة لسلطة داوود، الذي أصبح زعيم عصابة لها سلطة محلية على الطرق التجارية. محاولاً كسب ودّ إحدى الدولتين السورية المركزية أو مصر وادي النيل. ليكون عميلاً لأي منهما تعتمد عليه في حماية طريق القوافل وجباية الأموال، المترتبة على مرور القوافل (رسوم المرور) وتؤمن أيهما له الحماية والدعم.

وشاخ داوود وتقدم في الأيام، ويظهر التنافس بين الإخوة الطامعين في السلطة. فيدّعي (أدونيا) ابن داوود لنفسه الملك، ولكن أم سليمان زوجة داوود، تقف دون ذلك وتُعلم داوود بما حدث. فيؤكد داوود لأم سليمان أن ابنها هو الملك بعده كما تروي التوراة في سفر الملوك الأول.

ولما قربت أيام وفاة داوود، أوصى ابنه سليمان، كي يتشدّد ويكون قوياً، وأن يحفظ شعائر الرب وأن يحفظ وصايا وأحكام الرب كما هو مكتوب في شريعة موسى.

مات داوود ودُفن في (مدينة داوود) بعد أن ملك أربعين سنة، حسب قول التوراة. وجلس سليمان على كرسي أبيه داوود.

جـ- عهد سليمان: (971 - 931) ق.م:

وصفت التوراة، إلى درجة المبالغة، عظمة مملكة سليمان، ودرج المؤرخون على ترديد وصف التوراة عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان، معتمدين على تلك المبالغات التوراتية، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة. التي تؤكد أن مملكة سليمان كانت في عنفوان مجدها لم تتخطى مفهوم القرية أو العشيرة. وأن بني إسرائيل في عهد سليمان لم يغادروا مضارب خيامهم أو كهوفهم، في هذا السفح أو ذاك، حول هذه القرية أو تلك، بين السكان أصحاب البلاد. ولم يتمكنوا من تجاوز بداوتهم ويندمجوا بالعرب الزراعيين أصحاب الأرض.

كما أن مملكة سليمان لم تتجاوز مفهوم السيطرة بالوكالة، على مجموعة من القرى أو المخيمات على طريق القوافل والتجارة الدولية، المار عبر القسم الشرقي من بلاد (غامد وزهران)، في غرب شبه جزيرة العرب.

إن الدور الذي لعبه الموسويون في عهد داوود وابنه سليمان، كان مجرد محاولة للارتفاع بقواهم الذاتية إلى مستوى يؤهلهم للقيام بدور العمالة للآشوريين (بني سار) أو للمصريين (بني مصرايم) في غرب زهران. من أجل القيام بحراسة ممر القوافل وجباية الأموال عن البضائع المارة، ويقدمونها بنسبة معينة لهذا الجانب أو ذاك أو اللعب بين القوتين الكبيرتين آنذاك (الدولة السورية المركزية) و (مصر وادي النيل). من أجل الانفراد في السيطرة علىخط القوافل، لصالح هذا أو ذلك، مما أدى إلى تصفية دورهم نهائياً في تلك المنطقة الحساسة، واستبدالهم بالسكان العرب من أبناء المنطقة ذاتها.

ويعلّق المؤرخ (ويلز **Wells**) على مبالغات التوراة في وصف مملكة سليمان في كتابه ((معالم تاريخ الإنسانية)) الجزء الرابع صـ 279 - 283 فيقول: ((كيف صوّر كتبة التوراة مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير، فمن الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان لم يكن وهو في أوج عظمته إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة،وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقضِ بضعة أعوام على وفاته حتى زالت تلك المملكة. وإن قصة مُلك سليمان وحكمه التي أوردها الكتاب المقدس، تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع... وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي بل والإسلامي على الاعتقاد بأن سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة)).

ويضيف الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 480

قوله: ((فسليمان في أوسع جغرافيا مزورة عن التوراة، بقي ملكه محصوراً في بقعة ضيقة من الأرض العربية ... في شبه جزيرة العرب والتي تشمل منطقة غربي جبال (عسير) أو السراة وشرقيها. وبالفعل فإن تلك المنطقة من بلاد زهران وغامد غربي الجرود (يردن) وشرقيها، شهدت لأول مرة في التاريخ المعروف، انحلال وسقوط ملكيات الإمارات والمدن الصغيرة وذوبانها في مملكة تشمل السفوح الغربية والشرقية معاً. وقد حدثت من أجل السيطرة عليها، منازعات كثيرة بين أولئك الملوك وبين حكام الدولة العربية السورية المركزية، بسبب أهمية تلك المنطقة على خط القوافل التجارية الدولي)).

وهكذا حدث في عهد سليمان أن تنبه ملوك مصر وادي النيل، وملوك الدولة السورية معاً، إلى أنه صار بالإمكان التعامل مع هذه الجماعة التي يتزعمها سليمان، والاعتماد عليها، مما أثار غضب ملوك الآراميين في المنطقة، الذين كانوا يتطلعون إلى الاستقلال والسيطرة على طرق التجارة دون سواهم.

ويستدل من تطورات الأحداث في ذلك الوقت، أن الكنعانيين قد وقفوا إلى جانب سليمان ودعموه في مواجهة الآراميين، لأنهم وجدوا فيه ملامح كنعانية أكثر مما يحمل من بداوة الموسويين، فأمه كنعانية، وأفكاره ومعتقداته جميعاً كانت تنزع إلى أخواله الكنعانيين. فتزوج منهم نساءً كثيرات.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر الملوك الأول إصحاح (21) ما نصه ((فالتصق بهؤلاء بالمحبة.. وأن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً)).

كذلك وجد حيرام ملك صور في شرق غامد (وهي غير صور المتوسطية)، الفرصة سانحة لتثبيت ولاء سليمان وجماعته، كي يكون له بمثابة دريئة في وجه الآراميين. فقرر أن يساعد سليمان بتثبيت وحدة الموسويين تحت حكم سليمان، فبنى له معبداً في (أورشليم) وهي يبوس في شبه جزيرة العرب.

وانتهى بناء المعبد الذي أقامه سليمان بمساعدة حيرام ملك صور (المجاورة له) فدعا سليمان الشعب لحضور تدشين المعبد. وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (8 : 65) ما نصه : ((وعيّد سليمان العيد في ذلك الوقت، وجميع إسرائيل ومعه جمهور كبير من مدخل (حماه) إلى (وادي مصر) أمام الرب إلهنا، سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوماً. وفي الثامن (أي اليوم الأول من الأسبوع الثاني)، صرف الشعب فباركوا الملك وذهبوا إلى خيامهم فرحين وطيبي القلوب)).

وتعليقاً على هذا الخلط يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه المذكور سابقاً ما يلي: ((كيف يمكن أن يقبل أي مؤرخ أو أن يتصور أي باحث، أن جماهير الشعب رجالاً ونساءً شيوخاً وأطفالاً يأتون من مصر عبر صحراء سيناء ،ومن حماة في وسط سوريا عبر السهول والجبال والوديان من أجل أن

يشهدوا حفل تدشين المعبد ؟!)) ويتابع : ((.. ولم تقل التوراة (عاد الشعب إلى مصر وإلى حماة) بل قالت بوضوح (لقد ذهبوا إلى خيامهم). إذن قد جاؤوا من خيامهم من قرى مجاورة. ثم عادوا إلى خيامهم في قرية (مصر) زهران، وقرية (أمات) وليست حماة. وهذا دليل واضح على أن مصر المذكورة ليست مصر وادي النيل بل هي قرية (مصر) في شبه جزيرة العرب)).

ومن ناحية ثانية يعتقد اليهود الآن أن معبد سليمان هذا قد بُني في مدينة أورشليم (القدس) في فلسطين الحالية.

وقد جهد حكام دولة إسرائيل بعد قيامها عام 1948 وبعد احتلال مدينة القدس أثناء حرب عام 1967، وأمعنوا في البحث والتنقيب لدرجة أنهم حفروا تحت المسجد الأقصى، ولكنهم لم يعثروا على أي دليل أو أي أثر لهذا المعبد، ولن يجدوه مهما حاولوا.

ولم يغبْ عن بال ملك (مصر) زهران، التقرب من سليمان بعدما لمسه من تعاظم نفوذه بسبب دعم الكنعانيين له، حيث اعتبروا سليمان (وكيلاً) لهم. ولما كان نفوذ مصر وادي النيل غائباً في تلك الفترة. قرر فرعون قرية مصر زهران أن يستميل سليمان إليه، فزوجه إحدى بناته، وغزا بلدة (جازر) التابعة لقرية (فلشة) وقدمها مَهراً لابنته زوجة سليمان.

وتذكر التوراة ذلك الزواج على اعتبار أن فرعون مصر هذا هو ملك مصر وادي النيل فتقول: ((وصاهر سليمان فرعون (ملك مصر) وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داوود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب)). ملوك الأول (3 : 1).

ولم تغفل التوراة الكلام عن حياة سليمان الشخصية، فتقول في سفر الملوك الأول (11 : 1 - 13) ما نصه:

((وأحب الملك سليمان نساء غريبات كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات، وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. (وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري)[1] . فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملنَ قلبه وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ..وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود أبيه .. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك)).

---

[1] – كيف يصدق العقل هذه المبالغات الكاذبة؟!.. ألا يدل على أن كل ما روته التوراة عن سليمان ليس إلا من باب المبالغات الكاذبة؟!.

obeikandi.com

مات سليمان بعد أن ملك أربعين سنة، تاركاً الملك لابنه (رَحُبْعَام) وتقول التوراة ((وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان على كل إسرائيل أربعين سنة ثم اضطجع سليمان مع أبائه ودُفن في مدينة أبيه، وملك رَحُبْعَام ابنه عوضاً عنه)). ملوك الأول (11 : 42و43).

وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الموسويين، هي عهد الملوك الثاني والانقسام، وتتميّز هذه المرحلة بالحروب والمنازعات بين الجماعات اليهودية. وقبل المضي في الكلام عن هذه المرحلة، لابدَّ من إيراد بعض الملاحظات عما سبق:

أ - هل كانت المملكة التي بالغت التوراة في وصف عظمتها في زمن داوود وابنه سليمان، تعني بحق مفهوم الممالك، كملوك الدولة البابلية أو الدولة الآشورية أو ملوك مصروادي النيل؟!.

في الحقيقة لم تكن كلمة (ملك) في ذلك الزمن تعني المفهوم الحالي لهذه الكلمة، بل كانت تُطلق على رئيس جماعة أو رئيس قرية أو مزرعة أو مدينة. أو حتى على قائد عصابة من الرجال. فمملكة داوود وسليمان لم تكن تتجاوز هذا المفهوم، حيث لم يكن لها حدود في الاتساع بل تقتصر على رقعة جد ضيقة من الأرض. كما أن اسم (مدينة) كان يُطلق على أي تجمع سكاني مستقر، سواء أكان في مضرب للخيام أم في بضعة بيوت، أم في قرية صغيرة أم في بلدة أم في مدينة.

لقد كان أولئك الملوك الصغار، يقومون بحراسة مصالح الدولة المركزية كلٌّ من موقعه، وتأمين سلامة خطوط التجارة الدولية عبر شبه جزيرة العرب، في شرق البحر الأحمر. وحينما كان يحدث ما يهدد سلامة طرق التجارة ويعرقل وصول السلع إلى شتى أنحاء الدولة وعلى الأخص مركز الدولة أو عاصمتها.

عندها لم يتردد الملك المركزي في تسيير الجيوش، لإخضاع تلك الممالك الصغيرة المتمردة أو الطامعة في الانفصال. فيعزلون ملكاً (وكيلاً) وينصّبون آخر، وكثيراً ما كان ملوك الدولة المركزية في بابل يتنازعون السيطرة على تلك المنطقة الهامة من خلال ملوكها الصغار، مع حكام مصر وادي النيل.

ب - هل كانت مملكة إسرائيل في زمن داوود وسليمان، تعتبر دولة يهودية تقتصر على اليهود وحدهم، ولا تضم آخرين من السكان؟!.

وبالعودة إلى التوراة، نجد نصوصاً كثيرة متفرقة في جميع الأسفار تؤكد على أن اليهود لم يكونوا أصحاب الأرض التي سكنوها، ليس فقط في زمن موسى ويشوع وفي زمن القضاة، بل وفي زمن مملكة داوود وسليمان. ونورد على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

((ولم يطرد مَنسّى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دُورَ وقراها ولا سكان يبلعام وقراها ولا سكان مجدّو وقراها. فعزم الكنعانيون

على السكن في تلك الأرض.. وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسط جازر)). قضاة (1 : 27- 29).

وتعزو التوراة بقاء السكان العرب في أراضيهم، إلى رغبة الرب في امتحان إسرائيل. فتقول التوراة في سفر القضاة (3 : 1- 5) ما يلي:

((فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل، كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان، إنما لمعرفة أجيال إسرائيل لتعليمهم الحرب، الذين لم يعرفوها قبل قط. أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين. كانوا لامتحان إسرائيل بهم .. ثم سكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين (أبناء حث) والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين)).

وتقول التوراة أيضاً في سفر القضاة (6 : 1و2و6) ما نصه: ((وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزّت يد مديان على إسرائيل.. فذلّ إسرائيل جداً من قبل المديانيين)).

وفي سفر الملوك الأول (9 : 20و21) تقول التوراة ما نصه: ((جميع الشعب الباقين من الأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يفنوهم فجعل سليمان عليهم سخرة إلى هذا اليوم)).

لم تعترف التوراة بعجز بني إسرائيل عن إفناء أو طرد كل السكان العرب من أراضيهم الذين قاتلوا الإسرائيليين دفاعاً عن أرضهم. بل تعزو ذلك إلى رغبة الرب في أن يمتحن بني إسرائيل، وليعلّم الأجيال التي لم تعرف الحرب، لتعليمهم الحرب، لأنهم لم يعرفوها قبل قط.

جـ - هل كانت لغة اليهود في زمن داوود وسليمان، لغة يهودية خاصة بهم؟!. وما هي اللغة والثقافة التي كانت سائدة في ذلك العصر (القرن العاشر ق.م)؟ ..

تدل جميع المعلومات والقرائن بوضوح تام، على أن تلك المملكة الصغيرة والتي تصفها التوراة بالعظمة، إنما كانت مملكة لم تتوفر فيها المقومات القومية والثقافية، فلم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها، بل كانت قائمة على اللغة الكنعانية والتراث الحضاري الكنعاني البحت.

ولم يكن اليهود يملكون المقومات الأساسية للارتقاء من مرحلة البداوة إلى مرحلة الشعب الذي يملك كيانه الحضاري المستقل. فبعد دخولهم إلى أرض كنعان في غرب شبه جزيرة العرب. اقتبسوا اللغة الكنعانية وأخذوا عن الكنعانيين ثقافتهم وحضارتهم، وتقاليدهم وديانتهم. وأن اللهجة العبرية بمعنى (يهودية) والمقتبسة من الآرامية، والتي كُتبت بها التوراة أيام السبي البابلي، لم تظهر إلا في وقت متأخر ولم تكن معروفة في عهد داوود وسليمان.

كما أن اليهود كانوا حتى عهد رَحُبْعَام بن سليمان، ما يزالون جماعات من البدو يسكنون الخيام أو الكهوف. وأن ذلك المجد الذي قالت عنه التوراة في زمن داوود وسليمان لم يكن إلا كمية من الذهب والفضة ومجموعة من النساء الجميلات، التي شغل الكنعانيون بها سليمان من أجل أن تستمر خطوط التجارة تتدفق على أمراء كنعان دون سواهم.

ثانياً: عهد الملوك الثاني؛ (عهد الانقسام): 931 - 586ق.م:

بعد موت سليمان عام (931ق.م)، انتقل الأمر إلى ابنه (رَحُبْعَام) وبه تبدأمرحلة الضعف والانقسام، وكثرة الحروب والمنازعات بين عشائر الإسرائيليين، بالإضافة إلى تعرضهم لغزوات الممالك الأخرى.

ولم يستتب الأمر لرَحُبْعَام، بل نافسه في السلطة (يُرُبْعام) بن نباط. الذي اعتمد على قسم كبير من عشائر الإسرائيليين، ضد رَحُبْعَام. اغتنم ملوك المصريين في غرب زهران فرصة الخلاف بين الاثنين، فناصروا يَرُبْعام وجعلوه ملكاً على بني إسرائيل.

وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (12 : 1و3و4) ما يلي: ((وذهب رَحُبْعَام إلى (شكيم)، لأنه جاء إلى شكيم جميع إسرائيل ليملّكوه... وأتى يَرُبْعام وكل جماعة إسرائيل وكلموا رَحُبْعَام قائلين: إن أباك قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك)).

ولكن رَحُبْعَام رفض الاستجابة إلى طلب إسرائيل، وأعلن بقاءه على التمسك بسياسة القوة التي مارسها أبوه، معتمداً على تأييد الكنعانيين له. غير أن عشائر بني إسرائيل دعوا يَرُبْعام وملكوه على جميع إسرائيل، ولم يبقَ مع رَحُبْعَام إلا سبط يهوذا وحده.

فهرب رَحُبْعَام من شكيم إلى (أورشليم) لأنه وجد في المعبد الذي بناء أبوه وسيلة لإعادة توحيد عشائر بني إسرائيل من حوله، وليتمكن من محاربة يَرُبْعام. وهكذا تبدأ مرحلة انقسام عشائر بني إسرائيل إلى مملكتين:

- مملكة يهوذا وملكها رَحُبْعَام بن سليمان.
- مملكة السامرة وملكها يَرُبْعام بن نباط.

كان هذا الانقسام، بداية لفترة جديدة من المنازعات والتحالفات سببت في النهاية تهديداً للتجارة الدولية وخطوطها الرئيسية في منطقة غرب شبه جزيرة العرب. كما أن النزاع بين رَحُبْعام ومؤيديه وبين يَرُبْعام ومؤيديه أدى إلى إضعاف الفريقين، لدرجة أن رَحُبْعَام أخذ يتقرب من الأمراء الآراميين في (صوبا) و(دومسك) بتقديم الأموال والهدايا لهم لإشراكهم في حربه ضد يَرُبْعام.ولما لم يؤدي ذلك إلى نتيجة تساعد في حسم الموقف. لجأ رَحُبْعام إلى الاستعانة بملك آشور (بني سار) في جنوب شرق زهران.ولما خلف (أحاز) رَحُبْعَام على الملك في يهوذا، استمر في الاعتماد على ملك الآشوريين في (بني سار)، وبذلك تخلص

(أحاز) من منافسة (ملك السامرة) ووجد نفسه في موقف يسمح له باللعب بين القوتين المحليتين اللتين برزتا على ساحة التنافس في تلك المنطقة:

- قوة المصريين في (مصرايم) غرب زهران.
- قوة الآشوريين في (بني سار) شرقي زهران.

وفي عهد الملك (حزقيا) بن أحاز ملك يهوذا ، تمكن هذا من تكتيل عشائر بني إسرائيل من حوله ، في محاولة منه للتخلص من سيطرة المصريين (مصرايم) في غرب زهران، والتعاون مع آشوريي (بني سار) . وبعد أن نجح في حربه مع الفلسطينيين سكان قرية (فلشة)، أعلن العصيان على ملك آشور (بني سار) . وتقول التوراة ((وكان الرب معه وحيثما كان يخرج كان ينجح وعصي على ملك آشور ولم يتعبد له)). الملوك الثاني (18 : 7).

وتعزو التوراة هذا النجاح، كعادتها ، إلى رضى الرب على الملك لأنه حفظ وصايا الرب. ولما كان ملوك بني إسرائيل لا يسمعون صوت الرب ولم يحفظوا عهده، كان الرب يغضب ويسلط عليهم أعداءهم فتقول التوراة: في سفر الملوك الثاني (18 : 9- 12) ((في السنة السابعة لهوشع بن أيْله ملك إسرائيل صعد (شلمناسر) ملك آشور على السامرة وحاصرها. وأخذها في نهاية ثلاث سنين.. وهي السنة التاسعة (لهوشع) ملك إسرائيل أُخِذت السامرة. وسبى ملك آشور إسرائيل

إلى آشور.. لأنهم لم يسمعوا صوت الرب إلههم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا)).

يجب أن لا يغيب عن البال أن آشور هذه ليست عاصمة الدولة الآشورية المركزية في العراق، بل هي آشور (بني سار) في شرقي زهران غرب شبه جزيرة العرب. وأن هذا السبي الذي حققه (شلمناسر) ملك آشور لم يكن إلى آشور العراق، كما اعتقد المؤرخون، بل كان إلى آشور (بني سار) في شرقي زهران. مما يدل على أن الصراع بين تلك الممالك الصغيرة في غرب شبه جزيرة العرب كان بدافع السيطرة على طرق التجارة الدولية للحصول على عمولات مالية.

وهكذا قضى الآشوريون في بني سار على محاولات مملكة إسرائيل في إقامة كيان مستقل لهم عن القوى المتنافسة في المنطقة. وقد أدى ذلك إلى تفرّد آشور (بني سار) بالثروات كلها مما أثار غضب فرعون مصر (مصرايم) في غرب زهران.

كان كل ذلك يحدث في أواخر القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد في الوقت الذي قامت فيه الدولة البابلية الجديدة في العراق. وما أن استقرت أمور الدولة في العاصمة (بابل) حتى التفت الملك (نبوخذ نصر) إلى إعادة سيطرة الدولة على المنطقة الغربية من شبه جزيرة العرب (الحجاز وتهامة الآن) ليضمن

عودة الازدهار إلى خطوط التجارة الدولية. ومنع سيطرة أولئك الملوك الصغار، أوملوك مصر وادي النيل من محاولة بسط نفوذهم على تلك المنطقة الهامة.

وبعد أن تمّ القضاء على مملكة السامرة على يد الآشوريين في (بني سار) جنوب شرقي زهران، بقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر مصيرها، وهي تتأرجح في مهب الريح بين ملك مصرايم في غرب زهران وبين ملك آشور (بني سار) في شرق زهران. إلى أن قامت الدولة البابلية الجديدة وأصبح الأمر بيد الملك (نبوخذ نصر) كان ذلك (بين 612 و539ق.م).

وكان (يهوياقيم) ملك يهوذا في أورشليم. وعمل الشر في عيني الرب. وتقول التوراة في سفر الملوك الثاني (24 : 1و2) ما نصه: ((كان في أيام يهوياقيم ملك يهوذا، أن صعد نبوخذ نصّر ملك بابل، فكان له يهوياقيم عبداً لثلاث سنين. ثم عاد فتمرّد عليه. فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة المؤابيين... وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلّم به عن يد عبيده الأنبياء)).

ويستفاد مما تقدم أن ملك يهوذا (يهوياقيم) تمرّد على نبوخذ نصّر مدفوعاً من ملك مصرايم غرب زهران وبدعم من ملوك مصر وادي النيل الذين كانوا يرغبون في السيطرة على تلك المنطقة الهامة.

لذلك شن (نبوخذ نصّر) سنة 597 ق.م حملة على مملكة يهوذا وحاصر (أورشليم) أثناء الحصار مات الملك (يهوياقيم) وخلفه ابنه (يهوياكين) الذي أُجبر على الاستسلام، لكن نبوخذ نصّر سبى يهود أورشليم ومعهم الملك (يهوياكين) وعيّن (صَدقيا) خلفاً له. الذي أكد ولاءه لنبوخذ نصّر، فكان هذا هو (السبي الأول 597ق.م).

ولكن (صدقيا) هذا نقض عهد الولاء لنبوخذ نصّر، وتحالف مع الآراميين بالاتفاق مع ملك مصر وادي النيل، الذي كان يطمع في إعادة سيطرته على المنطقة. فغضب نبوخذ نصّر وجاء بنفسه على رأس حملة قوية، حاصرت أورشليم حتى استسلم أهلها بعد أن هرب الملك صدقيا. ودخلت جيوش نبوخذ نصّر المدينة سنة 586ق.م.

وتروي التوراة ذلك في سفر الملوك 2 إصحاح 25 : 1و2 فتقول: ((وفي السنة التاسعة لملكه (تقصد صدقيا) جاء نبوخذ نصّر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجاً حولها. ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا)).

وتؤكد التوراة أن الملك (صدقيا) هرب من المدينة وهرب معه جميع رجال القتال ليلاً. ولكن الجيش الكلداني ألقى القبض على صدقيا ومن معه وأُرسلوا أسرى إلى بابل. وكان ذلك سنة 586ق.م

فكان هذا هو السبي الثاني: حيث تمّ نقل الأسرى إلى بابل ليلتحقوا بيهود السبي الأول.

كان عمل نبوخذنصّر هذا انتصاراً حاسماً لسلطة الدولة المركزية، أنهى النزاع الطويل من أجل السيطرة على تلك المنطقة الهامة بالنسبة للدولة المركزية في بابل. وبذلك أصبحت الدولة البابلية تحت حكم الكلدانيين صاحبة السيادة على تلك المنطقة بلا منازع.وهكذا حسم نبوخذ نصّر تلك الصراعات الصغيرة والكبيرة في غرب شبه جزيرة العرب لصالح الدولة السورية البابلية. حيث أجرى عملية نقل السكان الذين كانوا يشكلون تهديداً لطريق التجارة ووطد أمن الناس جميعاً، وأعاد هيمنة الدولة على كل أجزائها. مما حقق ازدهار الحياة الزراعية والتجارية.

وفي الوقت ذاته تمّ القضاء على أي نفوذ للموسويين وذلك بإسقاط مملكتي السامرة ويهوذا والقضاء عليهما نهائياً.